
دلائل نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم

الحجة الأولى: أن محمدا أتى بكلام فصيح، ولم ينسبه لنفسه وإنما نسبه لله

وادعى أنه مبعوث منه، وتحدى به مصاقع البلغاء وأهل الفصاحة والبيان من العرب مع كثرتهم الكاثرة، وعلو شأنهم في نظم الحروف ومعرفة اللغة حتى بلغوا فيها الغاية.

فكانت صنعتهم، على خلاف النبي، نظم الألفاظ والحروف في أحسن الخطب والأشعار وأفخر القصائد والأرجاز، وجرت عادتهم بالمفاخرة بها والمباهاة والمباراة والتحدي والمعارضة، وعقدوا لذلك الأسواق، حتى شُحذت قريحتهم البيانية، مع ما كانوا عليه من الحمية والأنفة، إلى جانب ما استقر من أحوال وعوائد أهل الفصاحة والشعر، ما يمنعهم من التسليم بالفضيلة لخصومهم مع اقتدارهم على دفعها وقهرها والظهور عليهم، ويدعوهم إلى معارضتهم وإظهار ما عندهم من الفضل وأنهم منهم أفصح وأبلغ وأحسن بيانا، لا يرومون من ذلك سوى ما يجرى على ألسنة الناس من ذكرهم بالفضل والتميز، وهذا بدون حتى أن يقع التحدي، فالأمر مع وقوع التحدي، وفي أمر جلل كدعوى النبوة ألزم

وأيضا، فكل هذا ما كان للنبي قبل ذلك قط انخراط فيه، ولم يعهد عنه الإشتغال بتلك الأمور، فلا يقال أن تفوقه من جنس تميُّز أهل العلوم وأرباب الصنائع والحرف في علمهم أو صنعتهم أو حرفتهم على أقرانهم، إذ أن النبي لم يكن قرينا لهم في تلك الأمور، فلم تكن صنعته نظم الكلام والحروف، والتباري بالخطب والأشعار، ولم تشحذ قريحتَه البيانية المبارياتُ البلاغية، ولم يُهذِّب مَلَكتَه تَمَرُّسه في اختيار الألفاظ ونسجها على أحسن نظم حتى تلين له عريكة التصوير والبيان، بخلاف من توافروا في خصومه وبلغوا الغاية في هذا الشأن وكانت لهم الأسبقية فيه

ومع ذلك، فقد تحداهم فيما يبرعون ويتميزون فيه، ليس فقط للتفاخر والتباهي وادعاء الفضل عليهم في الفصاحة والبيان، وهو ما كان ليكون كافيا حتى بالنسبة لهم ليشرعوا في المعارضة والمناقضة كما اعتادوا، وإنما كان ذلك في أمر عظيم وخطب جسيم يروم به تزييف دياناتهم وذم آلهتهم وآباءهم وتفريق شملهم وإبطال رئاستهم وتقليب الناس عليهم وانقيادهم له، وإثبات أنه نبي مرسل من عند الله نذير للعالمين، وهذا أدعى لمعارضته وإبطال أمره، وهم بالفعل كانوا في محبة إبطال أمره في الغاية حتى عرضوا عليه الأزواج والأموال، وبدلا من أن يسلكوا المسلك السهل عليهم والذي اعتادوه وألِفوه وبرعوا فيه من معارضته بالحروف، عمدوا إلى التنكيل به وبأصحابه وتعذيبهم، والتضييق عليهم وحصارهم اقتصاديا، وتجييش الجيوش وتحزيب الأحزاب لمقارعته بالسيوف، مع ما في ذلك من بذل للأموال والأرواح ما لا يوجد في المعارضة، والعاقل لا يُقدِم على سلك الطريق الأصعب المحفوف بأضرب المخاطر والمهالك، ويترك الطريق الأسهل والمفضي مباشرة لمقصوده، فلما سلكوا هذا المسلك دل ذلك على عجزهم عن المعارضة وأن القرآن يفوق ما جرت به عادة فصحائهم من الكلام بقدر زائد ينقض العادة، وهو المطلوب

الإعتراض الأول: المعارضة بشخصيات نبغت في فنها

الجواب: أولا: معارضة فاسدة، وقد بيّنا في سرد الدليل فسادها، فنحن لم نثبت النبوة لمجرد النبوغ، بل أثبتنا النبوغ في مجالٍ لمن هو خارج هذا المجال ولم ينخرط قط فيما يشحذ به قريحته بخصوص هذا الفن حتى تمرّس فيه، على من هم أهل هذا الفن وبلغوا الغاية فيه، مع دعواه للنبوة وظهور عجزهم على وفق دعواه، أما في الشخصيات التي يذكرونها، فلا هي ادعت النبوة ولا جعلت نبوغها علامة على صدق دعوى النبوة، ولا تحدوا أحد فيما جعلوه علامة على النبوة فأعجزوهم، ولا هم ظهروا في قوم قد بلغوا الغاية فيما تحدوهم فيه، ولا هم نبغوا في شيء لم تشحذ دراستُهم وممارستُهم الطويلة له وبناءهم على من سبقهم من شيوخ أهل الفن قريحتَهم فيه

بل أقصى ما في الباب أن يقال: واحد من أهل الفن ونبغ فيه، لا هو ادعى النبوة ولا جعل ذلك علامة على نبوته، ولا هو تحدى من بلغوا الغاية من أهل الفن فيما نبغ فيه مع توفر دواعيهم على معارضته وإبطال أمره وارتفاع الصوارف والموانع عن ذلك ثم عجزوا جميعهم عن مقابلة تحديه وعمدوا إلى محاربته والتخلص منه، فظهر الفرق بين هذا وذاك

وأيضا ألا يقول الملاحدة دائمًا: لِمَ لم يصف الله في القرآن مثلا نشأة الكون أو كيفية تكوُّن الدي إن إيه فنعلم أن القرآن من عند الله، وما شابه ذلك؟ فالملاحدة بذلك يقرون بأنفسهم أن ذكر القرآن لذلك كان ليكون حجة واضحة على صدق نبوة محمد، وهو استدلال بنفس جنس الدليل الذي ذكرناه، إذ أن معرفة محمد لكيفية نشأة الكون وهو خارج عن الاشتغال بالعلوم الطبيعية ولا مجال له لأن يعلم تلك الدقائق كان ليكون دليلا على صدق

نبوته، هذا ما يلزم من كلام الملاحدة، وعليه، فالاستشهاد مثلا بشكسبير في الأدب أو فلان في الفيزياء أو علان في الشعر الخ، لا حجة فيه لأنهم من أهل الفن المتعلمين والممارسين له وتميزهم من جنس تميز قرين على أقرانه فلا نقض للعادة في الأمر، بالإضافة لما ذكرناه من الفوارق الأخرى

ثانيا: لو كان جنس تفوق محمد عليهم من نفس هذا الجنس، لأمكن عليهم معارضته حين التنزل لهم في مستوى التحدي عدة مرات، فإنه لو كان تميزه عليهم تميز قرين على أقرانه بقدر لا يخرج عن العادة، فحين التنزل بمستوى التحدي يسهل عليهم معارضته، فإنه لو أتى مُعلِّمٌ بمسألة في اختباره لطلابه لا يحلها إلا المتميز على أقرانه فإنه لا شك أن باقي مسائل الاختبار الأنزَل منها موضوعة لجميع الطلبة وبإمكانهم حلها، ولكنهم لما لم يعارضوه حتى في الأنزل، كان هذا دالا على علو القرآن بقدر ينقض العادة، وأن تميز النبي ليس تميز واحد من أهل فن ما على أقرانه

وههنا إشارة، فإن النبي لو كان مدعيا كاذبا لما تنزل لهم في مستوى التحدي أصلا، تاركا بذلك مساحة المضمون، والتي يحتاجها أي مدع كاذب ليصدقه الناس، إلى مساحة اللامضمون والاحتمالات والمراهنات، فقد ضمن النبي أنهم عاجزون عن إجابته، وفي ذلك تدعيم لموقفه وتعزيز لصدق دعواه أكثر، فلِمَ يتخلى عن الأرضية العُليا التي ثبت له فيها الأفضلية عليهم وضمن فيها النصر ويذهب ليقامر على أرضية أخرى يسهل فيها عليهم ضربه؟ هذا خارج تماما عن المعتاد من أحوال وعوائد وطبائع البشر، فالكاذب يتمسك بأي قشة تثبت كذبته أمام الناس ولا يتخلى عنها بتلك السهولة والسذاجة إلى ما يفضح به كذبه

ثالثا: لو كان جنس تفوقه عليهم من نفس هذا الجنس، لقالوا له أن الذي جئتنا به لا يختلف عن أسلوبك ونظمك للكلام وضربك للحروف الذي عهدناه منك من قبل دعوتك فلا جديد فيه، وإنما هو نفس درجة الامتياز التي عهدناها منك من قبل علينا، فلا إعجاز في الأمر، فلطالما كنت متميزا علينا في البيان، ولطالما كان هذا أسلوبك ونظمك وتعبيراتك ونسجك للألفاظ

رابعا: لو كان جنس تفوقه عليهم من نفس هذا الجنس، لما كان هناك هذا التفاوت بين الأحاديث النبوية والقرآن، فإنه لو كان تعذُّر المعارضة لأجل أنه يفضلهم في الفصاحة، لظهر هذا في كلامه وأحاديثه وخُطَبِه، إلا أن كلامه بالنسبة إلى القرآن ككلام غيره بالنسبة إليه

خامسا: القرآن ظهر منجما على إثر كل حادثة طارئة أو كل سؤال أو طلب متفاعلا مع واقعه، مما يجعل النبي مُقيدا في بيانه بالموضوع الحادث والأمر الطارئ، بخلاف الأدباء والشعراء الذين يحددون سلفا بأنفسهم المواضيع التي سيدور حولها فلك قلمهم، ولا يُفاجئون بمواضيع يجب عليهم فيها انتقاء ألفاظ وتعبيرات مناسبة ووضعها في صياغة ونظم معين، فالتميز هنا أسهل ومتوافرة سبله، بل هذا يحتاج تمرس وقدرة إبداعية هائلة لا يصل إليها حتى المتميزون من أهل الفن، فإن كان النبي مدعيا كاذبا، فلِمَ لم يُسهّل الأمر على نفسه ويأتيهم بالكتاب قطعة واحدة مرة واحدة، بعد أن يكون قد فرغ عن تأليفه وبعد أن يكون قد حدد مواضيعه سلفا التي يُحسِن فيها البيان وإطلاق العنان، وبذَل فيه الوقت والجهد واستفرغ فيه الوسع ليُخرجه على وجه يصح له التحدي به، خاصة وأنه لم يكن متمرسا لتلك الدرجة التي تسمح له بأن يُغامر ويخاطر بإظهار القرآن على تلك الصورة؟ بل لو كان كاذبا مدعيا لما أظهر منه شيئا على إثر الطوارئ والأحداث التي تُستجد

الإعتراض الثاني: لم لا يكونوا عارضوه والمعارضة لم تصلنا بسبب غلبة المسلمين؟

الجواب: **أولا**: نمنع حصول تلك الحالة المذكورة من الأساس ففيها مغالطة، إذ أن غلبة أو قهر المسلمين هي نتيجة تتوقف على حصول المعارضة من عدمها، فإن أصلا غلبة المسلمين لم تكن لها أن تتم لو حصلت المعارضة، إذ لو حصلت المعارضة لظهر كذب النبي وتفرّق عنه الجمع الكثير من الاتباع، هذا إن لم يتفرقوا عنه كلهم، وتصبح مغالبته وانكساره أسهل ولا تتم له الغلبة ويُقتل الإسلام في المهد، فلا يصح الجمع ابتداءً بين حصول المعارضة وغلبة المسلمين، إذ أن حصول المعارضة لها لوازم وتبعات تمنع من غلبة المسلمين أصلا، وما تركيبهم معا إلا تجاهل لتبعات الأولى وشروط حصول الثانية، إلا أنا نتنزل ونذكر وجوها أخرى لدفع ما ذكرتم

ثانيا: أنه ليس المقصود من المعارضة سوى دفع نبوته وإبطال حجته وكشف كذبه وفض الناس عنه، وهذا يقتضي إشاعة المعارضة –إن حصلت- فالمطلوب هو كشف النبي أمام الناس وأمام أتباعه لا أمام نفسه، وهذا يستلزم أنها لو كانت حصلت أن تُشاع بين الناس وعلى الملأ، مما يستلزم تناقلها كما يتناقلون كلام محمد، لأهميتها في تقرير مصير وأرواح الكثير من الناس، وعلى أساسها سيتحدد صدق أو كذب النبي، هذا مع كونهم هم الأكثر عددا ودواعيهم على نقلها وإشاعتها متوافرة وعلى أشدها، ومعارضة كتلك في حدث جلل كهذا ما كان لها أن تموت وتكف الألسن عن ترديدها وتناقلها

ثالثا: هذا مُعارض بمن اشتُهر عنهم معارضة القرآن ووصلنا ذلك، وكان هذا بعدما تمت الغلبة للمسلمين بالفعل وكانت في عزها، هذا مع كون دعوى معارضتهم للقرآن لا أصل لها، كابن المقفع مثلا وأبي العلاء المعري في الفصول والغايات، وكتاب الفصول والغايات متوفر لدينا وليس فيه أي شيء البتة، إلا أنه مع ذلك انتشرت تلك الأخبار ووصلت إلينا مع غلبة المسلمين وكثرة عددهم وشدة بأسهم، ومع كون المتأخرين أنزل من العرب الأوائل في الفصاحة ومعرفة اللغة، فكيف إذن لا تُشاع معارضة قد حصلت بالفعل لا مجرد دعاوى واتهامات وقدح، ومن سلاطين اللغة، ولم تكن الغلبة للمسلمين حينها، بل كانت غلبتهم على المحك، تتوقف على حصول تلك المعارضة من عدمها، وكان خصومهم الأكثر عددا ودواعيهم على نشر وإشاعة تلك المعارضة شائطة وتحترق؟

وأيضا، فإن كان هذا الحال مع ما يُكتب، وهو ما يمكن التنزل وقبول أنه يمكن للسلطة إخفاؤه، فكيف بما يتم تناقله على الألسن بين الناس وأي غلبة تلك التي تستطيع التحكم فيما يدور بين الناس في مجالسهم؟ بل كانت لتظل دعوى حصول المعارضة حية، حتى وإن انمحى أثر تلك المعارضة

وأيضا، كيف يُذعن له القوم، ويتزايد أعوانه، ويقبلون كلامه، ويموتون في سبيله، ويؤدون الفروض والتكاليف الشاقة التي يأمرهم بها، ويأتون إليه يستفتونه في أمور العبادات والمعاملات، بعدما حصلت المعارضة وتبيّن لهم أن حجته انكسرت، وأنه كاذب لا يريد سوى الغلبة والرئاسة، وما يأمرهم به هو من عنده وليس من عند الله؟ بل كيف استمر هو في تلك التمثيلية، يأمر وينهى ويحرم ويحلل باسم الله وقد افتضح أمره وظهرت حقيقته، وهو يعلم أن أتباعه يعلمون أن الأمر ليس فيه الله ولا يحزنون؟

رابعا: أنه لو كانت غلبة المسلمين كالعصا السحرية تُمحي أي أثر لكل ما يقدح في دينهم، لما احتاج الأئمة والعلماء كتابة المؤلفات لرد الشبهات والطعونات على الدين وعلى النبي، ومن ضمنها شبهات وطعونات على القرآن، فلِمَ لم تنفعهم تلك الغلبة المزعومة إلا تلك المرة الوحيدة اليتيمة إن كان الأمر بتلك السهولة؟

خامسا: أنه وإن سلمنا على سبيل التنزل بتعذر تداول تلك المعارضة تحت تلك الغلبة المزعومة، فإن أصقاع الأرض لم تكن تحت غلبة المسلمين، فكان لهم أن ينشروها بين ظهراني أعداء المسلمين ويشيعوا ذكر الحادثة واحتيال النبي وما كان ليمنعهم أحد، بل كانوا لينصتوا لهم، بل لأشاع هذا الحدث التجار في ارتحالهم، بل ولكان استخدم تلك الحادثة نصارى ويهود العرب للطعن فيه، ومن ذلك مثلا أن أحد ملوك العرب النصارى الغساسنة ويدعى جبلة بن الأيهم، كان قد أسلم وارتد بسبب أن عمر أراد أن يقتص منه لأحد العامة للطمه على وجهه لأنه داس على ثوبه، فرفض الرجل واستكبر أن يرد عليه هذا "السوقة" -كما قال- اللطمة وهو ملك، فلما أصر عمر، تنصر هذا الرجل ولحق بالروم وأكرمه ملك الروم، ولو كان هناك صدى فقط لخبر حصول معارضة وأن النبي محتال، لما تردد هذا الرجل، ومن هم حالهم كحاله، في إشاعة هذا الخبر إنتقاما، ولا سلطة للمسلمين لمنعه ومنع تداول الخبر بين عرب الشام مثلا، وكما يُقال فإن الصمت في معرض الحاجة للبيان بيان، بل على العكس الرجل ندم على تركه للإسلام وأنشد أبياتا في ندمه على ترك الإسلام وعدم الرجوع لقول عمر، وهذا يدل على أنه لم يكن هناك حتى عهد عمر أي صدى لأي خبر كهذا أصلا وإلا فعلام الندم؟ وبالجملة نقول: أنه طالما كان بالإمكان للعرب أن يشيعوا ما يريدون خارج نطاق تلك الغلبة المزعومة، ومع ذلك ما وجد أي أثر لخبر تلك الحادثة ذات التبعات الجليلة، فإن هذا يقدح في حدوث تلك الحادثة أصلا، بل يمكن عد هذا من خوارق العادات

الإعتراض الثالث: لم يعارضوه لأنه لا سبيل للتفاضل فإن أتوا بالمعارضة وقع النزاع فيقول البعض أنها معارضة ويقول البعض الآخر أنها ليست معارضة

الجواب: أولا: أن هذا إلزام للعرب بما لا يلزمهم، فهو مُعارَضٌ بالمباريات الشعرية، فإن العرب كانت عادتهم جارية بنظم الشعر والتحدي به ومعارضته والإحتكام إلى الحكام وتفضيل بعضه على بعض، وما خلوا عن ذلك قط، وما تلك إلا مشكلة مُفتعلة لا مصداق لها عند العرب ولم تك عندهم شيئا، ومن ذلك ما دار بين جرير والفرزدق، و بين امرئ القيس والحارث بن التوأم، وتلك أمثلة أخرى من جنس ذلك:

Ex:1

Ex:2.1 , Ex:2.2

Ex:3

فإن كان لا سبيل للمفاضلة ولا مجال لمعرفة الأفصح، فلأي شيء كانت المماتنات والمعارضات، ولأي شيء كانوا يحتكمون للحكام للفصل؟ بل وكيف تميزت المعلقات عن غيرها؟ بل وكيف كانوا يفاضلون في الشاعر الواحد بين مواضيع شعره، فامرؤ القيس يحسن شعره عند ذكر الخيل والنساء، والأعشى في وصف الخمر، والنابغة في الخوف، وزهير في الرجاء الخ؟ لِمَ لم تظهر تلك المشكلة إلا مع النبي؟

ثانيا: لو كان لا سبيل للمفاضلة ولا مجال لمعرفة الأفصح، لقالوا له أنك تتحدى بما هو معلوم أنه لا يقع فيه المفاضلة والتميز، فلا حجة لك في الأمر، وطلبك باطل محال، ولما استمع له أي واحد منهم ولما تبعه أحد

ثالثا: أنه لو حصل النزاع والخلاف، فأقصى ما في الباب أن يعتقد البعض أن ما أتوا به لا يصلح أن يكون مُعارضة، وأما إن لم يأتوا بالمعارضة مطلقا، فسيعتقد الكل أنهم عاجزون، والعاقل لا يهرب من أدنى المحذورين ويقع في أعلاهما، فكأنهم لما خافوا وقوع أمر قد لا يقع، عمدوا إلى سلوك يثبتون به أنه وقع بعينه وزيادة

وأيضا، فإن بالمعارضة وإن لم يقبلها الجميع، ينفض من حول النبي عدد من أعوانه، ويوهن أمره، ويستريب في أمره الناس، وتنكسر حجته، وفي هذا مساعدة على مطلوبهم

الإعتراض الرابع: أنهم عدلوا عن المعارضة إلى المحاربة لأنها أنجع في إبطال أمره

الجواب: أولا: معلوم أن القضية الكلية تُنقض بجزئية مخالفة لها في الكيف، فإن قال أحدهم: لا أحد منكم يأتي بمثل هذا، فإبطال تلك القضية يكون بأن يقال: ههنا واحد أتى بمثل هذا، ولا يكون إبطالها بقتل قائلها أو ضربه، فمازالت حجته قائمة، فحجته لا تبطل إلا إن ثبت أن ما أتى به ليس بمعجز، وقتله لا يثبت هذا إلا إن كان التحدي في أنه لا يقدر أحدٌ على قتله، فههنا يكون القتل مبطلا له، أما غير هذا فلا يفيد المطلوب ولا تبطل دعوته وحجته

ثانيا: أن اللجوء للحرب فيه خطر عليهم لعدم ضمان النصر -الذي لو كان قد حصل فلم يكن ليفيد في إبطال حجته أصلا كما قلنا- وليس ذلك الخطر في استعمال المعارضة، وههنا يمكن القول بأن الشيء إذا كان تحصيله بطرق عدة، لكن واحدا منها يكون أسهل وأنجع وأفضى للمقصود، فكل من قصد لتحصيل هذا الشيء وعلم طرق تحصيله وعلم أسهلها وأنجعها وارتفعت عنه موانع قصده إلى تحصيله بهذا الطريق السهل، فاختياره لأصعبها وأعسرها وأكثرها جهدا وبذلا للنفوس والأموال وأضرب المهالك والمحن دالٌ على عجزه على سلوك الطريق الأول، وهو المطلوب

ثالثا: أنهم لو لجأوا للمعارضة قبل الحرب لكان إما أن يتفرق جمع خصمهم بالكلية أو يرجع عنه جمع كثير ويقل عددهم فتكون محاربته أسهل وانكساره أقرب لضعف حجته وقلة أنصاره واسترابة الخلق في أمره

رابعا: أنهم بالفعل حاربوه أكثر من مرة، وعلموا أن المحاربة لا توصلهم لمطلوبهم، بل تزايد اجتماع الناس عليه واشتد أمره، واستحكمت شبهته على قلوب الناس، فوجب أن يعدلوا عنها إلى المعارضة التي بها تبطل حجته أصلا، فلما لم يفعلوا كان ذلك دالا على عجزهم

الإعتراض الخامس: إن جئناكم بمعارضة فأهل التخصص من المسلمين، فهم الخصم والحكم فسينحازون إلى دينهم

الجواب: أولا: الكلام بعينه قائم في النبي وزيادة، فالحجة ألزم عليك، فإنه لما تحداهم، مع علو مرتبتهم في الفصاحة ومعرفة اللغة بفراسخ عن المعاصرين والمتأخرين بصفة عامة، كان أيضا الحكام وأهل البيان منهم، ومع ذلك تحداهم واستفزهم للتحدي وأعاد الكرّة عليهم وشآهم شأوا وكانت له القدم الفارعة وأعجزهم، وإن كان ذلك كذلك فالعجز على الأنزل منهم بدرجات أولى، فلا حاجة بك للاحتكام لمن هم أنزل مع علمك بحال من علوهم شأنا من العجز مع أنهم كانوا في محبة إبطال أمره في الغاية

ثانيا: كون أهل التخصص من المسلمين حجة للقرآن لا عليه، فلو كان القرآن كتابا عاديا لا مزية فيه لكان هؤلاء أول من ارتدوا، وأول من كشف عواره، لكن القرآن قطعة فنية فريدة حتى باعتراف العديد من المستشرقين

ثالثا: المنحاز يظهر عليه انحيازه وتعنته في قبول القوادح، وتمسكه بقوله دون حجة، وطرحه للمناقضات دون أن يعارضها ويناقشها ويبين وجه عوارها، وهذا لا يخفى على آحاد الناس، فالمعارضة بذلك إن لم تبطل أمر القرآن، ستظهر انحيازهم وتعنتهم وضعف حجتهم، وهذا أدعى لأن يستريب الناس في أمر القرآن، والاعتراض هنا يرجع للاعتراض الثالث، وهو العدول عن المعارضة مطلقا مخافة أن يقع أمرٌ قد لا يقع

الإعتراض السادس: هذا التحدي وتلك الحجة يلزمان العرب فقط فكيف يعلم غير العرب أن القرآن معجز؟

الجواب: **أولا:** هب أن العجم لا تعلم فمن أين يدل هذا على أن القرآن غير مُعجز في نفسه؟ ألا ترى أن عدم علم الأطفال بوجود الالكترونات لا يُخرجها من حاق الوجود؟

ثانيا: يعلم العرب الأقحاح ذلك بالسليقة والطباع، ويعلم غيرهم إما بالتمرس والتعلم، وإما بالحجة العقلية، ولا حاجة للتكلف بذكر غير العرب، فالعرب المتأخرين كلما بعدوا عن الأوائل كلما كانوا أنزل في اللغة، فنحن أقرب لحال العجم من القرآن من حال العرب، فغير العرب تعلم أنه معجز من جهة معرفة عجز أفذاذ العرب وسلاطين اللغة عن مقابلة تحديه مع اشتداد دواعيهم على فعل ذلك كما أسلفنا، وإن لم يفقهوا شيئا في لسان العرب ولم يقفوا بأنفسهم على مواطن الفصاحة والبيان وحسن التصوير ووجه الإعجاز

وفي النهاية نقول: أن الشخصية الكاذبة التي يريد منا الملاحدة تصديق انطباقها على محمد، هي شخصية كاريكاتورية خيالية لا وجود لها على أرض الواقع ولا يمكن لها أن توجد أصلا، وسيتبين هذا أكثر فأكثر مع سردنا لباقي الأدلة، أما الآن، فأنت عليك التصديق أن شخصا برجاحة عقل النبي وحكمته ورزانته مع علو مكانته بين قومه وتقديرهم له، مع ما عهدوه منه من الصدق والأمانة، فجأة قرر أن ينقلب عليهم ويشوه صورتهم عنه، ويكسب عداوتهم، ويعرّض حياته وحياة من يتبعه للخطر، بدعوى ادعاها، وحتى يقيم الحجة عليها ليصدقه الناس كان ساذجا إلى حد أنه لم يجد سوى اقتحام مضمار خصومه، وتقديم طبق من ذهب لهم بتحديهم فيما برعوا فيه، وطال به عهدهم، ورسخت فيه قدمهم، بخلافه هو، تاركا بذلك خطوطه بلا دفاع مُعرَّضة لتلقي الضربات، حيث لم يمتلك خبرة مَن تمرّس في نزال اللسان وفصيح البيان، ثم مع ذلك ألزم نفسه بابتداع الكثير من آي القرآن حين تحدث حادثة وتبرق بارقة، أو حين يسأل سائل أو يطلب طالب، مقامرا على احتمالية أن تأتي الحادثة أو السؤال أو الطلب في مواضيع يتمكن فيها، وهو غير المتمرس، من نظمها وسبغها واختيار ألفاظها على نفس منوال الآي التي يمكن أن يُقال أنه تروى فيها قبل أن يدعي النبوة، واختار مواضيعها التي سيدور حولها مدار لسانه بنفسه، وأخذ فيها وقته وبذل وسعه، وحضّرها وجهزها مُسبقا، ثم ألقاها عليهم بعد ادعائه، ثم مع ذلك لم يكتف بعجزهم عن جوابه رغم أنها فرصة ذهبية لأي كاذب مدع ليقتنصها ويعلن انتصاره، بل تنزل لهم في مستوى التحدي درجات، وأعاد الكرّة عليهم مرات، وكأنه يستجديهم لبيان كذبه وفضح أمره، خارجا بذلك على ما عُرف عن الكذابين من الطبائع والعادات، ثم مع ذلك عمدوا إلى تجييش جيوشهم، وتحزيب أحزابهم، لمقابلة تحديه بالحروف بالمقارعة بالسيوف، خارجين بذلك عما ألفوه، سالكين به أخطر المسالك التي تُبذل فيها أموالهم ودماؤهم ولا يؤدي بهم لمطلوبهم، ثم مع ذلك لم يجزع النبي ولم يخاف على حياته ولم يرجع عن ادعاءه لما وجد الأحداث تفاقمت، وظل مخلصا وفيا لكذبته وتمثيليته الهزلية وثابتا عليها لا تثنيه عنها مصيبة ولا نازلة، وكأنها الحق المُنزّل من السماء

في الواقع، المنكر من حيث لا يشعر يؤمن بأن النبي جرى على يديه خرق العادة أكثر مما يؤمن المسلم، لكن بدلا من أن يصدق أنه خرق العادة فيما أظهره، يصدق أنه خرق العادة فيما أخفاه وكتمه، هو خرق العادة في كونه كاذبا، خرج عن عادة وطبائع وسلوكيات وأحوال الكَذَبة إلى الحد الذي يمتنع معه وصفه بالكاذب، فالمنكر في حقيقة أمره أراد أن يهرب مما ظنه "نُقرة" فوقع في "دُحديرة"

وهذا فقط مجرد مثال واحد، وسيتضح الأمر أكثر فيما يأتيك من الأدلة

كتبه: Armchair Philosopher